

وحصل كل ما ينبغي له تحصيله . وهذا الذي أصنعه الآن من استثنائى عهد التلمذة هو الذى يقضى به الصدق — صدق النفس على الأقل .

ولا أذكر ما الذى رددنى إلى المدرسة وكل ما أعرفه أنى رأيتنى أقصد إليها وأنى كنت فرحاً بذلك ، وكان منى شيء أحمله ولم ألتفت إليه إلا بعد أن صرت بين التلاميذ الآخرين فقد وجدت « الفصل » غاصاً بهم ، ولكنى لا أذكر منهم إلا وجه الأستاذ محمود عزى فقد كان يجلس إلى أقصى اليمين ، وكان مكانى الذى قصدت إليه فى أقصى الجنوب ، وكانت وراءه نافذة مغلقة فوضعت ما أحمل على حافتها ، وعرفت فى هذه اللحظة فقط أن الذى أحمله هو قطع شتى من الحلوى والفطائر والسندوتش . وتذكرت وأنا أضع ذلك على حافة النافذة المحبكة العسكرية التى شهدت جلستها أيام كنت أعمل فى جريدة الأخبار . وكانت المحاكمة طويلة وكنت أوافق الجريدة بأنها مفصلة ، وكانت الجلسات تعقد فى الصباح وفى المساء أيضاً كل يوم . وكنت أتعجب وأجوع وأظلم ، فكان المرحوم أمين بك الرافعى يبعث إلى مع الخادم الذى يجيء ليأخذ منى الأوراق التى كتبها بالسندوتش وما إليه و « بتموص » فيه عصير الليمون فكنت آكل وأشرب وأفرق وكان الأستاذ الذى وجدته فى « الفصل » شاباً وكنت

أحس أنى أعرفه . ولم أستغرب أن يكون شاباً ، وحدثت نفسي ان هذا خبر من أساتذتى القدماء الذين كانوا جميعاً من الشيوخ ، ولا أعنى الشيوخ ذوي المائى بل من الشيوخ فى السن ، ولا استثنى منهم إلا واحداً هو الأستاذ الشيخ أحمد الاسكندرى ، أرانى لا أزال أضن به أن أسلكه مع سواء ممن علموني فى صغرى . وقلت لنفسى وأنا واقف فى مكانى — فما أذكر أنى قدمت — عسى أن يسير بنا هذا الأستاذ الشاب فى نهج مستقيم وأنجاه سديد فقد أضلنا تعليمنا القديم وحيرنا وتركنا كالتائهين فى الصحراء ، وما كان لنا من أساتذتنا السابقين مرشد أو معين ؛ وأحسبهم ما كانوا يعرفون إلا ما يعلموننا ، فلمهم العذر إذا كانوا قد عجزوا عن هدايتنا وإرشادنا والأخذ بأيدينا .

وكان الأستاذ يحمل خبز رانة — فما استطعت حتى فى الحلم أن أتخلص من صور المدرسة القديمة ، وكان أبرز ما فيها المصا —

حلم بالمدرسة

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

رأيت فى المنام أنى رددت تلميذاً . وقلنا أذكر ما أراه فى حلوى لأنى أنام كالقتيل من فرط الاعياء والنصب ثم لأنى أكرت خوانة . وأحسب أن من فضل الله على أنه أعفانى من شغلان بالأحلام وتأويلها . فما ينقصنى من دوائى الاضطراب لا هذا . وقد كنت فى حياة أى رحما الله أصبح فأدخل عليها أجلس إلى جانبها على حشيرة مطروحة فوق السجادة وأمامها لوفد وعليه وتحت أدوات القهوة كلها فتصب لى شيئاً فى الفجاجة تناولنيها فأسألهما : « نمت نوماً مريحاً ؟ » فتقول : « لله الحمد » أسألهما مرة أخرى : « أحلام لطيفة إن شاء الله ؟ » فتقص على أرأت وأنا مصغ وبى كالتدهول من شدة استغرابى لدقة الوصف إحاطته بالألوان والأصوات والاحساسات وما يدور فى النفس من معان ، وأرانى أسأل نفسى وأنا أنصت : « أترأها تتخيل ؟ » لكنى أعرفها صادقة تتق الله وتخشاه فلا يسمنى إلا أن أتعجب من هذه القدرة التى حرمت مثلها .

وأذكر أنه لم يسؤنى أنى رجعت تلميذاً أجلس فى الصف أصنى إلى المعلم وأجعل بالى إليه . وقلت لنفسى وأنا ماض إلى المدرسة : إن الحياة مدرسة لا تنتهى . والمراء لا يكف عن التعلم لحظة واحدة إلا حين تنقطع أنفاسه ويخرج من الدنيا . وصحيح أن أكثر ما يتعلمه الإنسان فى مدرسة الحياة يدفن معه فلا يتفع به أحد — لاهو ولا سواء — ولو كان الذى أفاده فى حياته يثى بعده ويتخلف فى الدنيا دونه لما كان المراء خليقاً أن يشعر بعث لتجارب وما استطاع أن يحصل فى فسحة العمر طالت أم قصرت ؛ إذ ما خير أن أتعلم وأن أحصل وأن أستخلص الحكمة والعبرة مما أجرب وأعانى إذا كان كل ذلك يطوى معى بل لا يعود له وجود ؟ ولكن ما يبدو من قلة الجدوى فى النهاية لا يمنع أننا نظل نتعلم ما دمنا أحياء . وإذا كان هذا هكذا فالأولى أن يكون المراء تلميذاً جهرة وصراحة فلا يذهب يدعى أنه فرغ من التعلم

شرع يذق باب شقته ويصيح وينادى ، وبقي على هذا الحال ربع ساعة لا تنقص دقيقة ، وكان الذى يثير تأثره ويهيج به إلى ما به أن من فى بيته - لا أدري من - لا يريدون أن يفتحوا له الباب ، وكانوا يقولون له : « اذهب فتم حيث كنت » فبرج الباب وبهره ويهدد بكسره ويدعو البواب المسكين أن يساعده على تحطيمه كأنما يمكن أن يمينه البواب على فعل كهذا . . . وأخيراً فتح الباب ووسعنى أن أضحك قليلاً وأن أستاذف النوم - لا الأحلام مع الأسف . . . وتذكرت حكاية الرجل الذى رأى فى منامه أن واحداً يمرض عليه تسعة وتسعين جنبها وهو يأبى إلا أن تكون مائة ؛ واشتد الحوار واللاجاج بينهما فاستيقظ الرجل فنظر فى يديه فألفاها خاليتين فارغتين كفوؤاد أم موسى ، فندم وأغمض عينيه ومد كفه وقال « طيب رضىنا . . . هات بقى »

كذلك أنا والله . . . كنت أود أن أعود إلى حلى لأرى ما يكون منى ومن إخوانى . وكان الذى بعينى على الخصوص أن أعرف كيف يكون سلوكنا فى المدرسة وهل نمود إلى « الشقاوة » القديمة التى اشتهرنا بها ؟ . وهل « نحوى » على المدرس كما كنا نفعل فى صبانا ؟ . وهل يمكن مثلاً أن نثر الخبر الأزرق على ثيابه البيضاء حين يمر بنا ؟ . ونضع سن الريشة بين « الدرج » وغطائه ونذهب نخرج منها أصواتاً قد لا تكون موسيقية ولكنها كافية لإزعاج المعلم وبليلة خواطره وتحييره الخ الخ

والأحلام - على ما يقال - تؤول بضدها ، فإذا كان هذا صحيحاً فهل معنى هذا أنى سأرتد معلماً ؟ .. أعوذ بالله .. ولا قدر الله .. لقد نجوت من هذا فلم يردنى إليه شئ كائناً ما كان ، وذكرت لهذه المناسبة حادثاً مضحكاً - أو لا أدري ماذا يفعل - ذلك أنى كنت محرراً فى جريدة الأخبار . وكانت الأحكام العسكرية مرفوعة فى ذلك الوقت ولكن الرقابة التحفظية على الصحف كانت قد ألغيت ، وكان صديق لى يبعث لى بمقالات عن وزارة المعارف ويضع فى ذيلها اسماً مستعاراً مثل « مطلع » أو نحو ذلك فقد نسيت . وكانت هذه المقالات تقض مضجع الوزير يومئذ . وكنت أخشى أن تفاجأ بهجوم على الجريدة فتؤخذ الأصول ويعرف الكاتب فكنت أنقلها بخطي وأحرق الأصل ؛ ويظهر أن أحدهم

وابتسمت وأنا أنظر إلى الخيزرانة فى يد العلم ونظرت إلى الأستاذ عزمى فأدرك ما أريد وهز رأسه وابتسم ابتسامته المحببة وقال : « أبوه يا سيدى . . . لا يزال القديم على قدمه مع الأسف »

وقال الأستاذ شيئاً ففهمت منه أنه يريد أن يلقى أحداً كلمة استهلال - أي أن يفتح الدرس ، فأعربت عن استعداى لألقاء الكلمة المطلوبة ، فقال الأستاذ عزمى : « من أول يوم يا مازنى ؟ » فابتسمت له راضياً وتحننت استعداداً للكلام ، وأذن لى الأستاذ فقلت كلاماً لا أذكر منه مع الأسف ولا حرفاً واحداً ، ولكنى أذكر أنى كنت وأنا أتكلم أحدث نفسى بأن الأثرة كانت تفسد على التلاميذ حياة المدرسة المشتركة فكان أحداً إذا اشترى شيئاً من الحلوى أو « المخلل » - فقد كنا نشتره قبيل الغداء ونحمله معنا إلى موائد الطعام - أقول إن أحداً كان إذا اشترى شيئاً يرض به على إخوانه ولا يسمح لهم بأن يشاركوه فيه ، وكان ربما ذهب إلى ركن خفي وأخرج من جيبه بعض ما فيه وراح « يبلع » قبل أن يفاجئه أحد ويطلب منه قطعة . ولكننا كبرنا الآن وعرفنا أن الأثرة عيب وأن لنة المشاركة أحلى وأطيب . وإن جديراً بى فى مستهل حياتى المدرسية الجديدة أن أستن سنة الإيثار أو على الأقل المشاركة ، وأن أقلب جو المدرسة جو تعاون ومودة .

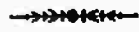
كان هذا يدور فى نفسى وأنا ألقى كلمتى ، فامتدت يدى إلى النافذة واستراحت أناملى عليها إلى أن أستطيع أن أهتدى وأنا أتكلم إلى مناسبة تسمح بأن أوزع الحلوى والسندوتش على الرملاء ، ولكن المناسبة لم تعرض مع الأسف لسبب خارج عن إرادتى فقد استيقظت فانتسخ الحلم قبل أن يتم . وكان الذى أيقظنى صوت دق عنيف على باب المارة وصياح عال : « افتح يا محمود . . . إنت ميت ؟ . . »

فأخرجت الساعة من تحت الوسادة ونظرت إليها فإذا هى الثالثة صباحاً ، قلت : والله إن محموداً لمذور ! وهل كان عليه أن يظل واقفاً بالباب ينتظر مقدم صاحبنا إلى الفجر ؟ وفتح الباب ودخل الرجل - فقد كان رجلاً كما لا أحتاج أن أقول - يزجر ويرطم وبدأ الفصل الثانى من رواية إزعاج خلق الله فى سكون الليل فقد

كان لمصر أسطول

فرل يعبر التاريخ نفسه ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان



كانت مصر بين الدول التي دعمتها الحكومة البريطانية إلى الاشتراك في حفلة العرض البحري الكبرى التي أقيمت لمناسبة تتويج جلالة الملك جورج السادس ، ولكن مصر اعتذرت عن إجابة هذه الدعوة لأنها لا تملك من الوحدات البحرية الثلاثة ما يصلح لاشتراكها في مثل هذا الحفل الدولي العظيم . وبالأمر احتفلت مصر بتتويج جلالة ملكها الفاروق احتفالاً رائعاً يذكرنا بجلاله وروعه بمجد عصورنا الذهبية وعظمتها ، وروعة أيامها ومناسباتها المشهودة ؛ واشترك الجيش المصري بالأسلحة بوحدهاته البرية والجوية في هذه المناسبة السعيدة اشتراكاً يذكرنا بماضيه العسكري الباهر ، ويبحث إلى الأمل في أن يفدو سراعاً كما كان في الماضي درع البلاد وحصنها الحصين .

ولكننا لم نسمع للأسف صوت الأسطول المصري ، ولم نشهد أثره في تلك المناسبات العظيمة لأن مصر لا أسطول لها .

هذه الحقيقة المؤلمة يجب أن تلفت أنظار مصر المستقلة إلى مركزها الدقيق بين دول البحر الأبيض المتوسط ، وإلى ما يمكن أن تواجهه في المستقبل من الأخطار من هذه الناحية خصوصاً في هذا العصر الفياض بالتطورات والاحتمالات السريعة ، وفي هذه المياه التي تنذر من آن لآخر أن تضطرم بكدر الخصومات والمنافسات التي تتفاقم عواملها يوماً بعد يوم .

فمصر بلد بحري بلا ريب تمتد شواطئه إلى مسافات بعيدة على طول البحرين التاريخيين العظيمين : بحر الروم أو البحر الأبيض المتوسط ، وبحر القلزم أو البحر الأحمر ؛ وقد لعب هذان البحرين العظيمان منذ فجر التاريخ في تاريخ مصر وفي مصيرها أدواراً خطيرة ؛ وسوف يلعب كلاهما بلا ريب دوره الخطير في مستقبلها . وقد شمرت مصر دائماً بمركزها البحري الخطير في هذين البحرين ، فكان لها منذ أقدم العصور أساطيل بحرية تجوس

سل بعالم المطبعة الذين لا يعرفون أن في الأمر سرّاً لأنهم من القالات بخطي . فافتتحت الوزارة أنى أنا الكاتب ولم تستغرب . ث لأنني كنت من موظفيها ومن رجال التعليم بها . وفي عدى الليالي كنت عائداً إلى البيت — وكان يومئذ في صحراء أمام — فصار كل من يلقي هناك يقول لي : إن الشيخ (يريدون شيخ الامام وهو قريبي) يطلبك فسألت عنه ، فلم أجده ، فذهبت « بيتي ونمت ، وفي الصباح بحث إلى الشيخ خادمه فلحقته به ال : « إركب » فركبت . وكانت له مركبة يجرها جواد أسيل سألته : « إلى أين إن شاء الله ؟ » قال « إلى وزارة المعارف » هشت وسألت : « وماذا أصنع في وزارة المعارف ؟ » قال : « تسلم ملك » فصحت من فرط الدهشة : « عملي ؟ .. ماذا تعني ؟ » قال : جاءني وزير المعارف أمس وأنت تعرف أنه صديقي وقال لي إنه أن المازني قريبي وأنه يعتمد على في اقتناعك بقبول العودة إلى ليفة كوظيفة أقرانك في الوزارة » فأدركت أن الوزير غلط عن أنى أنا كاتب القالات التي أقامت القيامة وقلت : « إن المسألة ها غلط .. لست كاتب القالات » قال : « زى بعضه » قلت : هذه رشوة لا أستحقها مع الأسف » قال : « يا أخى لا تكن نونا » قلت : « مجنون .. عاقل .. كيف أستطيع أن أدخل بارة المعارف وأنا أكتب كل يوم بامضاتى ضد الوزارة كلها ؟ . ي وجه أنى الناس ؟ .. كل ذمة لها نحن .. لا تحسب أن أحداً فع من أن يرشى .. ولكن من سوء الحظ أن هذه الرشوة رض في الوقت الذي لا يسمنى فيه أن أفنع ضميرى بقبولها .. ند قلت لك إنى لست الكاتب كما توهمت الوزارة فأرحها وأعفها ن تكلف هذه الرشوة . »

وانتهى الأمر على هذا الوجه . وانى ليخيل لي أحياناً أنى كنت مغفلاً ولكن من يدري ؟ .. وسواء أ كنت أم لم أكن أعرفنى ندمت قط على شيء مضى وفات . . ولماذا أعنى النفس لاضى ولا خير في ذلك ؟ والحاضر حسبي مشغلة . والحمد لله على وفق وأعان .

إبراهيم عبد القادر المازني